مختارات من الشعر السويدي

ترجمها عن السويدية : إبراهيم عبد الملك

إلى متى

برونوك أوير (١)

منذ البدءِ اختبأتِ
سرتِ أمامَ النهارِ
تهاديتَ حدَ حافةِ النافذة
نحو فضاءاتٍ حبلى
ربما أحبك
ربما لم أحبَكْ
لا أفكرُ في هكذا مسارات

منذ زمنٍ بعيدٍ وجدت
أن الإيمانَ بالشيءِ هوَ ذاته مطاردتُهُ
وتدنيسه ثانية

تهزُّ الستارةُ خيوطَ ظلٍّ على جسدكِ
بينما كنتِ تلفينَ سيجارة
وتنفثينَ الدخانَ
الذي ارتفعت به أرواحٌ شريرة
مقايضة مع روحك

لا جنون في الإشارات تسكنني
وتقول إنك تبدئين وتنتهين هنا
وأن لا حربَ أخرى تعنيني
يمكنني الصحو خارجَ المدى
يمكنني الانتظار حتى يسقط لمعانٌ باردٌ رقيق

كم من الزمن مرَّ بك
مطوقة بأناسٍ يعيشون على الإنكار وحسْبُ
مع الولادة اتضح أمامك سر حياتهم
ولم تفكري بنقلها إلى آخر
قيدهم نموهم مسوخا
قيدهم أن يروا أنفسهم ضحايا
لن يغفروا لك أبدا
أنك شكلتِ هذه العجلةَ من ما عطّلوه
وأهانوه
وتوقفَ في ذواتهم.

تعويذة

أندرياس بيورنستين (٢)

قولي إنك خائفةٌ
حتى أحتضنَكِ
قولي إني أنظرُ فأرى حُسنَكِ حقاً
حتى أرسمك
قولي إنكِ حزنى
وسأحتضنُكِ
قولي إنكِ لستِ سواكِ
حتى أدنوَ منكِ
قولي ما هذي بقصيدةِ حبٍ
كي لا أؤمنَ أبداً بك

إني أؤمن بك

مرَّة
ستجفُّ الطرقاتُ أكيداً
فلقد سرنا فيها، حتى الآنَ، كثيراً
بحذاءين نضاحين
لأنا لا نملكُ
شروى غيرهما
وعلينا أن نمضي في السير

فإذاً.. مرَّة
حتماً ستجفُّ الطرقاتُ
ومرةٍ
سيمرُّ من هنا خَطوُ ربيع.

قولي إني عاشقُكِ

لغةٌ أخرى

جاسم محمد صبيح (٣)

أنت لغةٌ أخرى
خلافي، تحبين المطر
حين يهطل
تفكرين بالحياة والعشب والخرير
تسيرين حاسرة الرأس
وتتركين نفسك للبلل
كأن الماء زيتٌ مقدّس
أما أنا فيحزنني المطر
حين يهطل
افكر بالبرد
والألعاب المبتورة
والزبى
أغلق نفسي كمحارّة
بعيداً عن المنال

الليلةَ أرى أناملَك
ترتخي حول كوبَ شاي محلى بالعسل
ترفعينني إلى فمك وتهبطين بي
مرة إثر مرة
- كالريح - ريشةَ

أأنتِ روحي ترتشفني؟

لم تبوحي بالكثير
أنت أقرب للصمت
لكنَ الهمهمات القليلةَ التي تقطر من فمك
كافية لإيقاظَ "حياةٍ" إلى الحياة.

١ برونو ك. أوير (١٩٥١) شاعر الشعراء في السويد، كما يحلو للشعراء أن يلقبوه. لا يظهر في المناسبات العامة إلا مرةً سنوياً لإقامة أمسيةٍ شعرية يحضرها الآلاف من قرائه.
٢ أندرياس بيورنستين (١٩٦٤) من أبرز شعراء جيل الثمانينيات، عاطلٌ عن العمل أغلب الوقت تقريباً، رغم أنفه. حائز على جائزة الشعر السويدي وله مجموعتان شعريتان مطبوعتان.
٣ جاسم محمد صبيح (١٩٦٤) شاعر وصحفي عراقي الأصل يعيش في ستوكهولم. يكتب وينشر بالسويدية . فقط ،، وقد حاز عام ٢٠٠٠ على جائزة الشعر السويدي ، وله مجموعة شعرية باللغة السويدية تحت الطبع.

كتاب جديد لعلي بدر

لويس ماسينيون، رسائل غير منشورة

متابعة المدى الثقافي

تكشف هذه الصفحات النقاب عن كنز استشراقي عظيم الشأن هو رسائل ووثائق كتبها المستشرق الفرنسي الكبير لويس ماسينيون باللغة الفرنسية وأرسلها إلى الأب أنستاس ماري الكرملي على مدى الثلث الأول من القرن العشرين. هذا الكنز الاستشراقي يصدر قريباً في كتاب بالعربية بعدما عرّب صفحاته ووثّقها ووضع فهارسها وإحالاتها المرجعية الروائي والباحث والمترجم العراقي علي بدر. أكثر من مئتين وثمانين نصاً تلقي الضوء على معلومات وجوانب مذهلة وغير معروفة من شخصية هذا العلاّمة الاستشراقي الذي اضطلع بأدوار حاسمة في فهم أغوار العلاقة بين الغرب والشرق والإسلام والمسيحية، وفي الغوص في عوالم التصوف والروحانية والفلسفة والوجد، وفي درس الحلاج وشؤون أخرى. إلاّ أن ما تكشف عنه هذه الوثائق بشكل خاص، أن ماسينيون كان ماثلاً بقوة على مقربة من الأحداث التي صنعت اتفاق سايكس - بيكو، وخصوصاً عمله الى جانب هذا الأخير ومشاركته في سياسة بلده، ومحاولة إقناع المثقفين العرب، ربما، بالفكرة الكولونيالية. الكتاب في جزءين، الأول يغطي الفترة من ١٩٠٨ الى ١٩١٩، والثاني حتى العام ١٩٣٦، وفي ما يأتي نزر قليل من هذه الرسائل وفهارسها مع شذرات من تقديم علي بدر.

في العام ١٩٠٧، كلف الجنرال دوبيلي، لويس ماسينيون القيام بمهمة تنقيبية عن الآثار جنوب بغداد، وقد وصل ماسينيون إلى بغداد منفصلا في بعثة آثارية تبحث عن قصر الأخيضر جنوب كربلاء، وكان عمره خمسة وعشرين عاما، فعاش حياة متقشفة، متخفيا بملابس ضابط تركي، يحميه العالمان محمود شكري الآلوسي والقاضي علي نعمان الآلوسي. وبعدما ذهب ماسينيون في غارة الصحراء إلى الجنوب من بغداد للبحث عن قصر اللخميين قصر الأخيضر، رفض أحد الفرنسيين دفع كفالة مستحقة عليه بتحريض من مجموعة من الموظفين الرسميين، فاشتبه أحد الضباط الأتراك بماسينيون، وألقي القبض عليه بتهمة التجسس والاشتراك في المؤامرة الماسونية على السلطان عبد الحميد، وعُذّب وحُكم عليه بالموت، واقتيد عبر سفينة في دجلة إلى بغداد مارا من طاق كسرى حيث يرقد هناك الصحابي سلمان الفارسي الشاهد على ولادة الإسلام، وفي السجن وعبر القمرة الصغيرة التي تفصله وأثناء تراقص موجات الماء المرتعشة فوق السقف، رأى ماسينيون حمامة محنية تهدل فوق شجرة نخيل، ومن ثم أخذت تهدل بصوتها العذب قرب نافذته، وبعد صمت قليل أدرك حقيقة العفو وهي تخرج عبر التعويذة التي حطمها، وتخرج عبر الاسم الذي تلفظه وهو الحلاج، لقد أدرك ماسينيون وهو يمر من الطاق، وعبر مرآته الداخلية، الغريب الذي زاره، مثلما زار قبل سبع سنوات هويسمان، الروائي الفرنسي الذي شهد ماسينيون موته قبل مجيئه إلى بغداد، فاختفى الغريب وراء ملامحه، ووقف الكفن الشفاف بينهما وهو يتقزح أمام عبارته الخلاقة. لقد تعرض ماسينيون إلى تحول روحي كبير، بينما كان آل الآلوسي يبذلون جهدا كبيرا لإنقاذه وكفالته أمام حازم بك.

وبعدما تمكن علي الآلوسي ومحمود شكري الآلوسي من كفالته وإطلاق سراحه، عاد إلى منزل الآلوسي لمداواته وشفائه ورعايته حتى زالت جميع أعراض التعذيب عنه، فقاما بمرافقته حتى بلغ مكانا آمنا، ومنحاه خاتما مكتوبا عليه عبده محمد ماسينيون ، ومن هناك رافقه الأب أنستاس ماري الكرملي إلى سوريا، ليذهب الكرملي إلى روما وماسينيون إلى باريس. وتبدأ هذه الرسائل منذ وصول ماسينيون إلى باريس ولا تنتهي إلا بموت الكرملي، وهي موجودة في دار المخطوطات العراقية في بغداد من الرقم ٣٥٠٢٢ إلى الرقم ٣٥٠٦٧،

كان احد اصدقاء الكاتب وهو في إطار عمل موسوعي لتحقيق الأعمال الكاملة للحلاج، وفي بحث متواصل عما تبقى من إرث للحلاج من مخطوطات ومقطعات وشذرات في بغداد هو الذي نبّهني الى مجموعة من رسائل المستشرقين الفرنسيين، وماسينيون من بينهم، مرسلة إلى الأب أنستاس ماري الكرملي ، فذهبنا في ظهيرة يوم قائظ هناك لأفكّ لغزها، ولم يكن في إمكاني أن أكبت مفاجآتي أمام أكثر من مئتين وثمانين رسالة ووثيقة تخص ماسينيون مكتوبة باللغة الفرنسية كان قد أرسلها إلى الأب أنستاس ماري الكرملي على مدى الثلث الأول من القرن العشرين. وأنا إذ أستعيد هذه اللحظة التي مضى عليها عامان، لا يمكنني أن أكبت، إلى اليوم، ارتجافي الأول أمام الورق الذي شف لتقادمه، والحبر الذي نصل وهو يسجل أهم مرحلة من مراحل الاستشراق لا في الغرب فحسب إنما في العالم برمته.

إن أهمية هذه الرسائل تكمن في كشفها بشكل واضح وصريح عن العلاقات الثقافية والفكرية والمعرفية بين المثقفين العرب والمستشرقين في الثلث الأول من القرن العشرين، وتبين على نحو فعال الآليات التي ينتظم فيها الخطاب الاستشراقي عبر رسائل واحد من أهم المستشرقين لا في ذلك القرن فحسب، إنما منذ تأسيس مدرسة الاستشراق في وصفها المعرفة الخابرة بالشرق من أجل وصفه وفهمه، والاحتياز عليه وضمه. وتبين على نحو جلي الانشباك الفوري والسريع لهذا الخطاب مع الفعاليات السياسية والممارسات الكولونيالية في المنطقة في الثلث الأول من القرن العشرين، وتبين كيف أن هذا الخطاب لم يكن بأجمعه قائما على الفكرة الكولونيالية في تفضيل المصالح الآنية إنما هنالك المعرفة الخالصة والمستقلة. صحيح أن بعض هذا الخطاب قد أستخدم كقوة واسعة النطاق لتبرير الهيمنة والسيطرة والضم من جهة، ومن جهة أخرى قوة للاجتثاث وتفكيك الهوية وتبرير الميكيافيلية السياسية، وتدفق الأحقاد، ولكن هنالك وفي الموازاة منه كان الخطاب العلمي والثقافي الذي يقارب بين هذه الثقافات والمجتمعات.

ما دفعني الى ترجمة هذه الرسائل وتحقيقها وتقديمها الى القارئ العربي هو شعوري العميق بأن هنالك عالما من القوى المرتدة التي تريد عزل الثقافات بعضها عن البعض، ينهض في الشرق بقوة، وبأن هنالك عالما من القوى المرتدة يريد بناء السياج الصلب الذي كان يسوّر المدينة الكولونيالية بشكل رمزي على أساس العرق، واللون، والطبقة، والثقافة، ويعزلها عن السكان المحليين، وهو ينهض اليوم في الغرب بقوة (...).

وربما تكشف هذه الرسائل بشكل جلي عن طرف لامع ومتميز من ثقافتنا المعاصرة التي نشأت وتأسست أول القرن المنصرم. نشأت في القرن الذي شهد حقيقةً وواقعاً كل أنواع المواجهات الثقافية والسياسية مع الغرب، وتكشف بشكل واضح عن طرف مهم ومتنوع من حياة النخبة المثقفة التي صاغت وأسست معارفها في تلك الحقبة والتي ترد مراراً عديدة في رسائل ماسينيون، وهم الزهاوي والرصافي والكرملي ومحمد رشيد رضا وجمال الدين الأفغاني ومصطفى جواد وكاظم الدجيلي وروفائيل بطي والشبيبي ومحمد كرد علي والقاسمي وتيمور وغيرهم. إن هذه الرسائل ترينا وعلى نحو فعال قائمة الفروق الظلية الكامنة في ثقافة الغرب، وقائمة الفروق الظلية بين المثقفين الغربيين أنفسهم، ولا سيما أولئك الذين عملوا وتدربوا ونشطوا في مؤسسة الاستشراق، كما أنها ترسم أمامنا الخطوط الصحيحة للمواجهة الثقافية الممكنة اختلافاً والتقاءً، وربما تمكّننا عندما يكون الحوار حقيقياً وأصيلاً وقائماً على المعرفة، من أن نضفي على ثقافتنا معنى عملياً ونفعياً، وتشعرنا بأننا نقف مرة أخرى أمام أوروبا مثلما تقف أوروبا أمامنا، ومثلما نسوح نحن في التواءات ثقافتها يسوح ماسينيون سياحةً هائلةً في عدد كبير وضخم من المخطوطات في التراث العربي والإسلامي. إن هذه الرسائل تكشف لنا عن هذا الطابع الذي يعد طابعاً ملغزاً وملتبساً في عمل ماسينيون حين قرب بين الإسلام والمسيحية في صلب الحلاج، وقرب بين الإسلام والمسيحية في شخصيتي فاطمة ومريم، وقرب بين الأديان السماوية الثلاثة في شخصية إبراهيم. ففي هذه الرسائل التي لا تشبه الرسائل الشخصية أبداً، تتحدد المواقف بشكل واضح وصريح، وتتجلى على نحو كامل المواقف الثقافية والمعرفية والدينية والسياسية، وتتضح مواقف ماسينيون من التصوف الإسلامي ومن الثقافة العربية برمتها، كما أنها تكشف عن انشباك ماسينيون الكامل، واهتمامه بكل ما ينتج من ثقافة في العالم العربي من صحف ومجلات وكتب وأخبار، وترسم لوحة واضحة لماسينيون الشخص - الإنسان وتفصح عن مواقفه من بعض المستشرقين ومن بعض المثقفين العرب، وترينا اللحظات التاريخية الحاسمة من مصير الشرق العربي بعد التحرر والاستقلال من الإمبراطورية العثمانية، حيث تكشف عن عمل ماسينيون السياسي في المنطقة العربية وعمله كداعية للكولونيالية ومنفذ لسياساتها في المنطقة في أخطر مرحلة من مراحل التاريخ العربي، وهي مرحلة الحرب العالمية الأولى، ومن ثم مرحلة الاستقلال وبناء المجتمعات الحديثة.

في الواقع إن هذه الوثائق والرسائل المبعثرة والمتناثرة والمكتوبة باللغة الفرنسية والموجودة في دار المخطوطات في بغداد قد خضعت لرؤيتي وتفكيري ومنهجي في كتاب، وهو كتاب يخصّني أكثر مما يخصّ ماسينيون. لقد انتزعت حق ماسينيون في الكلام، وحقه في الدفاع عن نفسه، وقمت بأسلبة stylisatoin تفكيره وحياته الخاصة وأفكاره ورسائله الشخصية ومواقفه وترجمتها وأفرغتها في قالب مدوّن وشكل كتابي، وأخضعت هذه الوثائق لتحليلي ونقدي وتأويلي الخاص بي، وبالتالي فإن هذه الرسائل الشخصية التي أرسلها ماسنيون لصديق له في بغداد، تحولت إلى كتاب يحمل فكراً ربما لا يوافق عليه ماسينيون. ومثلما خضع الحلاج لرؤية ماسينيون ونقده وتأويله الخاص، فقد خضع هو لنقد الآخرين وتأويلهم وأفكارهم، وأصبحت هذه الوثائق كتاباً من المقدر له أن يكون في جزءين، يبدأ الجزء الأول من العام ١٩٠٨ وهو العام الذي غادر فيه ماسينيون بغداد، بعدما أنقذه علي الآلوسي من حكم بالموت أصدره العثمانيون مشتبها فيه بالجاسوسية، وتؤشر هذه الرسائل الى اهتدائه الديني وتعرّفه على الحلاج، وبحثه عن المخطوطات التي تفيده في تأسيس نظريته عن مسيحية الحلاج، وينتهي في العام ١٩١٩ بعدما أصبح ماسينيون مستشاراً لجورج بيكو الطرف الثاني من اتفاق سايكس بيكو، وانخراطه العملي في سياسة بلده، وتؤشر هذه الرسائل الى محاولات ماسينيون السياسية لهداية المثقفين العرب وإقناعهم بالفكرة الاستعمارية أو الكولونيالية.

بينما سيبدأ الجزء الثاني من العام ١٩١٩ وحتى العام ١٩٣٦ (العام الذي تنقطع فيه الرسائل تماما بعد مرض الأب الكرملي ووفاته) وسيتحرك هذا الجزء على مساحة واسعة ومتجدّدة في تفكير ماسينيون، اهتمامه الأكبر بالسياسة (انخراطه في التبشير للانتداب الفرنسي في سوريا ومعركة ميسلون) اهتمامه بمساحة أوسع في التصوف، وأكثر شمولاً من النقطة التي بدأ معها في الحلاج، دراساته عن ابن عربي والسهروردي القتيل، والتستري، والقونوي، وملاّ صدرة الشيرازي، والعطار، وروزبهان البقلي، ودراساته الفلسفية في الفلسفة الغنوصية الإسلامية، وانشباكه في علاقات أكثر تنوعا مع المثقفين العرب والعراقيين، ولا سيما بعد عمله في الجامعة المصرية، وانشباكه في علاقات مع النخبة السياسية في العراق وفي العالم العربي ، ودراساته وأبحاثه عن فاطمة، وسلمان الفارسي، وأهل الكهف، وعلاقة الشيعة بالتصوف، وابن سينا والغزالي والفارابي، والأبحاث البلدانية عن القاهرة ودمياط والقدس والخليل والمدينة المنورة وبغداد والبصرة والكوفة.

وهنالك نقطتان تتعلقان بعملية تحقيق هذه الرسائل يجب إيضاحهما، الأولى تقنية، تتعلق بقراءة هذه الرسائل وإفراغها وترجمتها، فقد كان خط ماسينيون باللغة الفرنسية في غاية التعقيد والتداخل، كما أن الورق العادي لبعض هذه الرسائل قد شف تماما لقدمه، ونصل الحبر عنه حتى اختفى إلا بعض الآثار التي دلّت عليه، وبعض هذه الرسائل اختلطت فيها صورة الوجه مع صورة القفا، وبعضها قد تهرأ تماما لسوء الخزن، وبعدما تجاوزنا هذه الصعوبات بمشقة بالغة، قمنا بإفراغها أولا، ومن ثم ترجمناها، واستبعدنا بعضها لقلة أهميته (وهي رسائل قليلة جدا)، وحاولنا أن نقترب قدر الإمكان من إضاءة النقاط الغامضة فيها، لا بتخريج الأعلام والمصادر فحسب، إنما حاولنا أن نعود إلى كل مؤلفات ماسينيون ودراساته المتعددة والإفادة في التعليق على ما ورد فيها. كما إننا لجأنا إلى رسائل الكرملي مع أشخاص آخرين علها تضيء ما غمض وما التبس، وتتبعنا سيرة الكرملي وماسينيون معا في النشر والإصدارات، وعدنا إلى المجلات والصحف والدوريات العراقية والعربية والأجنبية للوصول إلى ما فيها من نقاط جوهرية .

عن / جريدة النهار وموقع كيكا